العتبة العباسية المقدسة

الخميس

أسبوعية ثقافية

السنة السادسة
العدد ٣٣٣

الخميس ١٧رمضان ١٤٣٢هـ ١٨ آب ٢٠١١م

تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة

فزت ورب الكعبة

فزت ورب الكعبة

٢ كلمة حق

عندما ينظر الإنسان لواقع الأمة الإسلامية تأخذه الحيرة من جراء الاختلافات والتمذهب الذي أصبح الطابع المميز في الوسط المسلم، ترى ماذا يصنع الإنسان؟ وأي الطرق يسلك؟

في حين تدعي كل الطرق أنها الحق المطلق، مع إن الثابت بالضرورة أن الحق لا يمكن أن يتعدد بخلاف الباطل الذي يمكن أن يتشكل في وجوه مختلفة.

وهنا يتوجه السؤال المصيري.

هل ترك رسول الله ﷺ أمته من غير هدى؟ ومن غير ضمانة تتكفل بعصمة الأمة من الاختلاف والخطأ؟.

لا نريد الإجابة على هذا السؤال لأنه يتطلب بحوثاً عديدة وعميقة، ولكن يمكن الإشارة إلى بعض السبل التي إذا وجدت عصمت الأمة من غير شك، ويمكن معرفة ذلك إذا نظرنا إلى المسلمين ورسول الله ﷺ بينهم، فسوف نجدهم كالبنيان المرصوص. أما إذا نظرنا إليهم بعد وفاته نجد ذلك الاختلاف الذي وصل إلى حد التقاتل، إذاً فإن وجود رسول الله ﷺ كان هو الضمان من الاختلاف، وكذلك إذا فرضنا وجوده ﷺ إلى اليوم. فماذا كان يمثل رسول الله ﷺ؟!.

بكلمة جازمة، كان يمثل المرجعية المعصومة الواحدة، ومن الضروريات البديهية أن القيادة الواحدة المعصومة هي الطريق المؤمن والوحيد لعصمة الناس من الاختلاف.

فإذا كان هنالك ضرورة لإيجاد ضمانة فتتعين في تنصيب رسول الله ﷺ إماماً معصوماً يمثل المرجعية لكل المسلمين.

المستبصر معتصم السيد أحمد

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾

الصوم مدرسة لتعلم الأخلاق الفاضلة والعادات الحسنة؛ لذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام في جواب عن سؤال بشأن علة الصوم : « إنما فرض الله الصيام ليستوي به الغني والفقير، وذلك إن الغني لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير، وإن الغني كلما أراد شيئا قدر عليه فأراد الله تعالى أن يسوّي بين خلقه ، وأن يذيق الغني مس الجوع والألم ، ليرقّ على الضعيف ويرحم الجائع ».

و روي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، إنما للصوم شرط يحتاج أن يحفظ حتى يتم الصوم، وهو الصمت الداخل أما تسمع ما قالت مريم بنت عمران: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾يعني صمتاً. فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب، وغضوا أبصاركم، ولا تنازعوا ولا تحاسدوا، ولا تغتابوا، ولا تماروا، ولا تكذبوا، ولا تباشروا، ولا تخالفوا، ولا تغاضبوا، ولا تسابوا، ولا تشاتموا، ولا تفاتروا (١)، ولا تجادلوا، ولا تنادوا (٢)، ولا تظلموا، ولا تسافهوا، ولا تضاجروا ، ولا تغفلوا عن ذكر الله وعن الصلاة، وألزموا الصمت والسكوت والحلم والصبر والصدق، ومجانبة أهل الشر، واجتنبوا قول الزور والكذب، والفري والخصومة، وظن السوء، والغيبة والنميمة، وكونوا مشرفين على الآخرة منتظرين لأيامكم، منتظرين لما وعدكم الله متزودين للقاء الله،وعليكم السكينة والوقار، والخشوع، والخضوع، وذل العبد الخائف من مولاه، حائرين، خائفين، راجين، مرغوبين، مرهوبين، راغبين، راهبين، قد طهرتم القلوب من العيوب وتقدست سرائركم من الخبث، ونظفت الجسم من القاذورات، وتبرأت إلى الله من عداه، ووالیت الله في صومك بالصمت من جميع الجهات مما قد نهاك الله عنه في السر والعلانية، وخشيت الله حق خشيته في سرك وعلانيتك، ووهبت نفسك لله في أيام صومك، وفرغت قلبك له، ووهبت نفسك له فيما أمرك ودعاك إليه، فإذا فعلت ذلك كله فأنت صائم لله بحقيقة صومه، صانع لما أمرك، وكلما نقصت منها شيئا فيما بينت لك، فقد نقص من صومك بمقدار ذلك...».و روي عن النبي ﷺ، أنه قال:» من دخل عليه شهر رمضان، فصام نهاره، وأقام ورداً في ليله، وحفظ فرجه ولسانه، وغض بصره، وكف أذاه ، خرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه، فقيل له: ما أحسن هذا من حديث ! فقال: ما أصعب هذا من شرط ! «.

(١)الفترة: الضعف والانكسار، وفي الوسائل: لا تنابزوا.

(٢)تناد القوم: تنافروا وتخالفوا وتفرقوا، وفي المخطوط والبحار: ولا تتأذوا، وفي الوسائل: ولا تبادوا: تباد القوم، تبارزوا وأخذ كل منهم بقرنه.

حقوق الجيران

لرابطة الجوار دور كبير في حركة المجتمع التكاملية ، فهي تأتي في المرتبة الثانية من بعد رابطة الأرحام ؛ إذ للجوار تأثير متبادل على سير الأسرة ، فهو المحيط الاجتماعي المصغّر الذي تعيش فيه الأسرة ، وتنعكس عليها مظاهره وممارساته التربوية والسلوكية ، ولهذا نجد أنّ المنهج الإسلامي أبدى فيه عنايةً خاصة ، فقد قرن القرآن الكريم عبادة الله تعالى ، والإحسان إلى الوالدين ، والأرحام ، بالإحسان إلى الجار كما في قوله تعالى : (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ ....) .

قال رسول الله ﷺ كتاباً ، بين المهاجرين والأنصار ، ومَن لحق بهم من أهل المدينة :

(إنّ الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وحرمة الجار على الجار كحرمة أمّه).

فقد رسم القرآن الكريم منهجاً موضوعياً في العلاقات الاجتماعية ، يجمعه الإحسان إلى أفراد المجتمع وخصوصاً المرتبطين برابطة الجوار.

وحق الجوار لا يُنظر فيه إلى الانتماء العقائدي والمذهبي ، بل هو شامل لمطلق الإنسان مسلماً كان أم غير مسلم ، قال رسول الله ﷺ : (الجيران ثلاثة : فمنهم مَن له ثلاثة حقوق : حق الجوار ، وحق الإسلام ، وحق القرابة ، ومنهم مَن له حقّان : حق الإسلام ، وحق الجوار ، ومنهم مَن له حق واحد : الكافر له حق الجوار).

الوصايا الشريفة :

أوصى رسول الله ﷺ وأهل بيته بمراعاة حق الجوار ، والسعي إلى تحقيقه في الواقع ، وركّز على ذلك باعتباره من وصايا الله تعالى له ، قال ﷺ : (مازال جبرئيل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورّثه) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : (الله الله في جيرانكم ، فإنّهم وصية نبيكم ، مازال يوصي بهم حتى ظنّنا أنّه سيورّثهم) .

وقد كتب رسول الله ﷺ كتاباً ، بين المهاجرين والأنصار ، ومَن لحق بهم من أهل المدينة : (إنّ الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وحرمة الجار على الجار كحرمة أُمّه) .

وقد جعل رسول الله ﷺ إكرام الجار من علامات الإيمان فقال : (مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) .

واستعاذ ﷺ من جار السوء ، الذي أطبقت الأنانية على مشاعره ومواقفه فقال : (أعوذ بالله من جار السوء في دار إقامة ، تراك عيناه ويرعاك قلبه ، إن رآك بخير ساءه ، وإن رآك بشر سرّه) .

معنى ليلة القدر

سُمّيت ليلة القدر؛ لأنّها الليلة التي يحكم الله فيها ويقضي بما يكون في السنة بأجمعها إلى مثلها من السنة القادمة، من حياة وموت، وخير وشرّ، وسعادة وشقاء، ورزق وولادة... ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

ففرق الأمر الحكيم يعني إحكام الأمر الواقع بخصوصياته التقديرية، وإمضاؤه في تلك الليلة رحمة من الله إلى عباده.

وقيل: القدر بمعنى المنزلة، وسُمّيت ليلة القدر لأهمّيتها ومنزلتها، ولأهمّية ومنزلة المتعبّدين والذاكرين الله فيها، فإحياؤها بالعبادة والعمل الصالح فيها ـ من صلاة وزكاة وأنواع الخير ـ خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، ولولا ما يضاعف الله تبارك وتعالى للمؤمنين ما بلغوا، ولكنّ الله يضاعف لهم الحسنات رحمة منه تعالى.

وسُئل الإمام الباقرؑ، عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال: «نعم، ليلة القدر، وهي في كلّ سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلّا في ليلة القدر، قال الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾».

قال الإمام أمير المؤمنينؑ: «قال لي رسول اللهﷺ: يا علي أتدري ما معنى ليلة القدر؟ فقلت: لا، يا رسول الله.

فقالﷺ: إنّ الله تبارك وتعالى قدّر فيها ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكان فيما قدّر ولايتك وولاية الأئمّة من ولدك إلى يوم القيامة».

وسُئل الإمام الصادقؑ: كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟ قال: «العمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر».

صفات ليلة القدر

ومن صفاتها: أنّها ليلة يطيب ريحها، وإن كانت في برد دفئت، وإن كانت في حرّ بردت، تطلع الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع.

روى الحسن عن النبيﷺ، قال في ليلة القدر: «إنّها ليلة سمحة، لا حارّة ولا باردة، تطلع الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع».

فضل ليلة القدر

وردت روايات كثيرة في فضلها، منها:

١ـ قال رسول اللهﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر الله ما تقدّم من ذنبه».

٢ـ قال رسول اللهﷺ: «إنّ الشيطان لا يخرج في هذه الليلة، حتّى يضئ فجرها، ولا يستطيع فيها على أحد بخبل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد، ولا ينفذ فيه سحر ساحر».

بل تتنزّل فيها النعم والخير والبركة والإحسان للمؤمنين الذاكرين الله، بشتّى أنواع الذكر، حيث يضاعف الله سبحانه لهم الحسنات والخيرات رحمة منه على عباده، فهي ليلة سلام حتّى مطلع الفجر.

٣ـ تتنزّل الملائكة والروح ـ وهو جبرائيل ـ فيها إلى الأرض؛ ليسمعوا الثناء على الله سبحانه، وقراءة القرآن والدعاء وغيرها من الأذكار، وليسلّموا على المؤمنين العابدين الزاهدين التالين لكتاب الله بإذن الله سبحانه ـ أي بأمره ـ فهي سلام على أولياء الله وأهل طاعته، فكلّما لقيتهم الملائكة في هذه الليلة سلّموا عليهم.

خفاء ليلة القدر

الاعتقاد السائد أنّ اختفاء ليلة القدر بين ليالي السنة أو بين ليالي شهر رمضان المبارك يعود إلى توجيه الناس إلى الاهتمام بجميع هذه الليالي، مثلما أخفى رضاه بين أنواع الطاعات كي يتّجه الناس إلى جميع الطاعات، وأخفى غضبه بين المعاصي كي يتجنّب العباد جميعها، وأخفى أحبّاءه بين الناس كي يُحترم كلّ الناس، وأخفى الإجابة بين الأدعية لتُقرأ كلّ الأدعية، وأخفى الاسم الأعظم بين أسمائه كي تُعظّم كلّ أسمائه، وأخفى وقت الموت كي يكون الناس دائماً على استعداد، ويبدو أنّ هذا دليل مقبول.

معركة بدر الكبرى

بعد أن استقرّ رسول اللّه ﷺ في المدينة، بدأ يخطّط عسكرياً لضرب رأس المال الذي كانت قريش تعتمد عليه اعتماداً مباشراً في تجارتها.

ولتحقيق هذا الهدف خرج رسول اللّه ﷺ ومعه أصحابه للسيطرة على القافلة التجارية التي كان يقودها أبو سفيان، فعلم أبو سفيان بخُطّة المسلمين فغيّر طريقه، وأرسل إلى مكّة يطلب النجدة من قريش، فخرجت قريش لقتال رسول اللّه ﷺ.

تاريخ المعركة ومكانها

١٧ شهر رمضان ٢هـ، منطقة بدر، وبدر اسم بئر كانت لرجل يدعى بدراً، تبعد (١٦٠) كيلو متراً عن المدينة المنوّرة.

عن محمّد بن الحنفية عليه السلام قال: بعث رسول اللّه ﷺ علياً في غزوة بدر أن يأتيه بالماء، حين سكت أصحابه عن إيراده، فلمّا أتى القليب وملأ القربة وأخرجها، جاءت ريح فهراقته، ثمّ عاد إلى القليب فملأها، فجاءت ريح فهراقته، وهكذا في الثالثة، فلمّا كانت الرابعة ملاها فأتى بها النبيّ ﷺ وأخبره بخبره.

فقال رسول اللّه ﷺ: «أمّا الريح الأُولى فجبرائيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك، والريح الثانية ميكائيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك، والريح الثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك».

بدء المعركة

لمّا أصبح رسول اللّه ﷺ يوم بدر، عبّأ أصحابه ودفع ﷺ الراية إلى الإمام علي عليه السلام، ولواء المهاجرين إلى مصعب بن عمير، ولواء الخزرج إلى الحبّاب بن المنذر، ولواء الأوس إلى سعد بن معاذ، وقال ﷺ: «اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني، اللّهمّ إنْ تُهلِكَ هَذه العصَابَة لا تُعبَد في الأرض».

وخرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة والوليد بن شيبة، إلى ساحة المعركة وقال: يا محمّد، أخرج إلينا أكفّاءنا من قريش، فبرز إليهم ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا لهم، فقالوا: ارجعوا إنّما نريد الأكفّاء من قريش، فنظر رسول اللّه ﷺ إلى عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب - وكان له يومئذٍ سبعون سنة - فقال: «قم يا عبيدة»، ونظر إلى حمزة فقال: «قم يا عمّ»، ثمّ نظر إلى الإمام علي عليه السلام فقال: «قم يا علي - وكان أصغر القوم - فاطلبوا بحقّكم الذي جعله اللّه لكم، فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفئ نور اللّه، ويأبى اللّه إلّا أن يتمّ نوره».

ثمّ قال: «يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة»، وقال لحمزة: «عليك بشيبة»، وقال لعلي عليه السلام: «عليك بالوليد».

فمروا حتّى انتهوا إلى القوم فقالوا: أكفّاء كرام، فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنّها فسقطا جميعاً، وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتّى انثلما.

وحمل الإمام علي عليه السلام على الوليد فضربه على حبل عاتقه، فأخرج السيف من إبطه، قال عليه السلام: «لقد أخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتي، فظننت أنّ السماء وقعت على الأرض»، ثمّ ضربه عليه السلام ضربةً أُخرى فقتله.

ثمّ اعتنقا حمزة وشيبة، فقال المسلمون: يا علي أما ترى أنّ الكلب قد نهز عمّك؟ فحمل عليه الإمام علي عليه السلام ثمّ قال: «يا عم طأطأ رأسك»، وكان حمزة أطول من شيبة، فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه علي عليه السلام فطرح نصفه، ثمّ جاء إلى عتبة وبه رمق، فأجهز عليه.

وبرز حنظلة بن أبي سفيان إلى علي عليه السلام، فلمّا دنا منه ضربه علي عليه السلام ضربة بالسيف فسالت عيناه ولزم الأرض، وأقبل العاص بن سعيد بن العاص يبحث للقتال، فلقيه عليه السلام فقتله.

لا سيف إلّا ذو الفقار

قال الإمام الباقر عليه السلام: «نادى مُناد في السماء يوم بدر يقال له رضوان: لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتى إلّا علي».

وفي رواية أُخرى عن ابن عباس: كان لرسول اللّه ﷺ سيف محلّى، قائمه من فضّة، ونعله من فضّة، وفيه حلق من فضّة، وكان يسمّى ذا الفقار.

رمضان شهر النصرة على النفس والاعداء

إكرام الضيف عادة عربية أصيلة لا يهجرها إلا لئام الناس ، وقد جاء الإسلام مؤكداً عليها ورافعاً شأنها في مختلف الجوانب ، وإجلال المعلم مسلَّمة عقلية لا تتخلف إلا عند من لا عقل له ، وللعلم وأهله احتفاء كبير وظهور بارز في النصوص الشرعية المقدسة وفي تراث أمتنا الخالد . والشأن أعظم مع ضيف يعطي ويضاعف ولا يأخذ أو يستوهب والأمر آكد مع معلم صادق يربي ويعلم في كل لحظة ولا يكتم أو يغير من الحق شيئاً وشهر رمضان الأغر ضيف كريم عزيز يحل على المسلمين مرة كل سنة ولا يفارقهم إلا وقد علمهم ما يستفيد منه كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

والضيف عند الكرماء يُتلقى بالحفاوة والبشر والسعادة ويحبه؛ وليس من عادات الضيف بل متى جاء استقبل ، الضيوف واقتراف ما يخالف وأما المعلم فيستفاد من علمه وإشراقاته ؛ وحقيق بنا معاشر بالانصراف عنه إلى متع زائلة علينا ألا ندع المعلم وحيداً والفسوق لأننا حينها سنخسر العمر .

ومن العلوم الرمضانية الجليلة أضعف من إنسان تأسره عادة على نمط واحد فقط . وفي العيش مع أكثر من حال دون طوال العمر ومن غير صعوبة الانفكاك عن بعض المرفهات .ومن خيرات رمضان بعد كسر العادات : الانتصار على الشهوات ، فللبطن والفرج واللسان والعين والأذن شهوات قد يعتقد صاحبها أن لا خلاص منها فيأتي رمضان مفنداً هذه الحيلة الشيطانية والأكذوبة النفسية ويقول للناس : ها قد صبرتم ساعات وأياماً فمتى تقلعون عما حرم الله ؟ ومن تقدير الضيف والمعلم ألا يعمل أحد بحضرته ما يكره أو ما يسوءه ؛ والعجب يتوالى من أناس لا تحلو لهم المعاصي إلا في رمضان ؛ ويزداد العجب من فئام يتمالئون على إفساد فرحة قدوم الضيف وصرف المضيفين والمتعلمين عن علومه وفيوضه ونفحاته ، ووالله لو أن هذا الضيف احتجب عن الناس أو ارتفع من دنياهم بسبب هذا السوء المتناسل والبلاء المتتابع لما كان أمراً مستكثراً منه ؛ غير أن فضل الله بعباده ورحمته بهم اقتضت ألا يكون ارتفاع أو احتجاب وتضرع إلى الرحمن الرحيم ألا يحرمنا بركة هذا الموسم وخيريته.

وإذا حضر العلماء في مكان فخيرما يتدارس ويتلى كتاب الله العزيز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد درجت تسمية رمضان بشهر القرآن والتلاوة ففي المساجد والبيوت وكل مكان شريف يحرص المسلمون على قراءة كتاب ربهم استشفاءً من المرض واستزادة من الإيمان ، ولا غرو فشهر رمضان شهر القرآن فيه نزل وليت كل واحد منا يلتزم بختمة شهرية كأثرٍ مبارك وذكرى حسنة لهذا الموسم الميمون .

وحين يهم المعلم بالرحيل يحرص نبهاء الطلاب على الالتصاق به حتى لا يفوتهم منه لحظة ليظفروا منه بعلم غزير وفضل كبير خاصة إذا كان المعلم يزداد عطاءه بالتقادم ؛ وهكذا هذا الشهر الأجَل فلا تزيده الأيام إلا روحانية يتفطن لها الموفق ويغفل عنها راغم الأنف . وبعض الناس يجتهد أول الأيام حتى يكاد أن ينقطع ، وينقطع آخر الأيام وربما فرط في الفرائض عياذاً بالله مع أن أواخر هذا الشهر خير من أوائله ؛ ويكفي الأواخر شرفاً ليلة القدر التي تحتاج إلى استقبال خاص وترقب متقن بلغنا الله قيامها على الوجه المقبول .

ومقت العلماء شأن البطالين وكره الضيفان عادة البخلاء واجتماع الخصلتين لا يكون إلا من شرار الناس وبغضاء الخلق . وقد بلينا – والبلاء يزداد- بأقوام ينتسبون لديننا ولغتنا وبلاد المسلمين عقدوا عزمهم على تنغيص الفرحة بهذا الضيف الكريم وتقليل الاستفادة من هذا المعلم الجليل بمهازل فنية ساقطة يجتمع فيها الفحش والكذب والافتراء والتماجن ويكفيك من شر سماعه ؛ وليس من وقت ينجس فيه فضاء الإعلام في بلاد المسلمين مثل ما يكون أيام رمضان ليقوم شياطين الإنس مقام إخوانهم

ويُستقبل ساعة حضوره وبكل ما يرغبه الضيف الناس « حساب » وقت قدوم ولا يجمل بالكرام تسفيه حق ضيافتهم.

وآثاره ويقتبس من أدبه الطلاب ألا نسيء للمعلم ولذائذ متحولة ، وواجب وننساق خلف أهل المجون مرتين : فوات العلم وضياع

: تغيير العادات، وليس ولا أصعب من حياة تسير تغيير العادات تكييف على الإدمان على حالة واحدة

رياض الجنة

احمد السيلاوي

أعود إلى أحلى الذكريات ؛ حين كُنتُ طالبة في نهاية المرحلة الإعدادية وشاء الله تعالى لي أن أتعرف على زميلة جديدة بصفي بالمدرسة.

كانت فتاة وضيئة الوجه،هادئة ،وديعة،متسامحة ،رقيقة ، على خُلُقٍ قويم ، واسمها (رحاب) ، وكانت تقطن بجوارنا ...فكنا نذهب إلى المدرسة ونعود سويًّا، وكانت أحاديثنا في الغالب لا تتعدى أخبار المدرسة والدراسة ، والأخبار العامة لأسرتها وأسرتي.

ولم تكن رحاب تتحدث معي في الدين إطلاقاً ، و لكنها كانت تفعل شيئاً كان في البداية يُدهشني ، ولكنه مع مرور الوقت- وتكراره - كان يُشعرني بوَخز الضمير!.

فقد كانت تحرص بين الحين والآخر على أن تعيد ربط غطاء الرأس، ليصبح حجابها مضبوطاً ...فلا تظهر منها شعرة واحدة!.

وكنت -على العكس منها- أحرص يومياً على تغيير تسريحتي، بل وتغيير لون السُترة التي أرتديها فوق الزي المدرسي لتناسب لون الحقيبة المدرسية!.

وأصبح ما تفعله رحاب –مع الوقت- يؤلمني، بل ويدفعني إلى التفكير؛ (لماذا تفعل رحاب ذلك؟!) وما هذا الحرص الشديد على كل شعرة لديها؟!

وبدأت أفكّر لماذا هي كذلك ولماذا أنا كذلك؟

ومَن منَّا على الحق، ومَن منَّا على الباطل؟!

لقد نشأتُ في أسرة مُحافظة متدينة تقدِّر الأخلاق كثيراً ، وكانت كلمة (حرام)-في بيتنا- تعني أن هذا الشيء بشع ولا يجوز فعله على الإطلاق....

ولكن أمي لم تكن ترتدي الحجاب،وكذلك قريباتي وجاراتي وغالبية زميلاتي بالمدرسة وجميع المدرِّسات بالمدرسة....فلماذا نلتزم بكل تعاليم ديننا ما عدا الحجاب؟!

فهداني ربي إلى التفكير في أن هذا هو التقليد الأعمى للاستعمار الذي غزا بلادنا كي ينهب خيراتها ، ثم يغزو عقولنا وقلوبنا ، ويوهمنا أنه أفضل منَّا ... وبما أن الطبيعة البشرية دائماً تتطلع إلى الأفضل ، فهي تميل إلى أن تقتدي به وتقلِّده .... وتذكَّرتُ نساء اهل البيت فاطمة الزهراء عليها السلام وسيدتنا زينب الحوراء عليها السلام كانت قدوة للمرأة المؤمنة التقية.

إن صديقتي « رحاب» تطيع أمر الله ، و تقتدي بالصالحات من المؤمنين ، ونحن نطيع الشيطان وأعوانه من البشر، ونلتزم به !

وبدأت أشعر بالخِزي من ربي...ماذا سأقول حين ألقى الله؛ (لماذا لم ترتدي الحجاب وقد أمرتُك به؟!!!)

هل سأقول له؛لأنني اتَّبعتُ الكفار وأعرضتُ عن سُنَّة أهل البيت ﷺ وماذا فعل بنا الكُفَّر ،وماذا فعل بنا الرسول وأهل بيته ﷺ؟!

فأي الفريقين أحق أن أتَّبع؟!

أم لأنني آثَرتُ هواي على أوامره؟!

وكيف ذلك وهو الذي خلقني بيديه وهداني للإسلام،وأعطاني من النِّعم ما لا أستطيع أن أحصيه؟!

أم لأنني أكثر جمالاً بدون الحجاب؟!وكيف سيكون جمالي حين أُلقى في النار بسببه،وحين أُعلَّق من شَعري في جهنَّم؟!.

وبدأت أشعر بأن الحجاب شيء حتمي وأنني لابد من أن أرتديه عاجلاً أو آجلاً.

وأصبحتُ بعد ذلك أسمع الأذان بشكل مختلف... لقد أصبحت أُصغي إليه بقلبي!

وصرتُ كلما سمعتُ الأذان تذكَّرتُ الآخرة ، وتذكَّرتُ المَوت الذي يأتي في لحظة لا نعلمها ولا نتوقَّعُها...وبدأت أشعر بالخوف الشديد من أن يأتيني الموت قبل ارتدائي للحجاب!

بل والأكثر من ذلك، لقد صرت أشعر أن النداء«حيَّ على الفلاح» يقول لي: « هيا إلى الحجاب»!

فبدأت أحاول تجربة شكلي بالحجاب أمام المرآة،وأتحدث إلى نفسي: « هيا تشجَّعي،إن شكلك بالحجاب ليس أسوأ بكثير...كما أن جمالك لن يشفع لك عند ربك ،بل سيصير قُبحاً إذا دخلت جهنم بسببه،هيا أقبلي،ففي الجنة ستصبحين أجمل من الحور العِين-كما سمعتُ من أبي-هيا أطيعي الرحمن واطردي وساوس الشيطان»،وقرَّرتُ أن أجرِّب نفسي، خوفاً من أن أرتديه ، ثم أخلعه...

وصرت كلما زارنا أحد بالمنزل، إرتديتُ سُترة بكُم طويل حتى ألتزم بقراري...ولما لاحظَت زميلاتي بالمدرسة أن تسريحتي أصبحت-تقريباً- واحدة تساءَلن ، فقلتُ لهن بكل شجاعة : ((أنا أنوي أن أرتدي الحجاب))، فلم تصدِّق واحدة منهن!!! وقُلن لي : لابد أنك تمزحين،فهذا شيء لا يمكن أن نصدِّقه... ولكني لم أسترسل معهن في هذا الحديث بل كنت أحدِّثهن عن أهمية الحجاب، فكُنَّ يتعجَّبن ، ولكن دون تعليق .

وفي أول يوم ارتديتُ فيه الحجاب كان أبي في غاية السعادة ، وكان إخوتي مندهشين ، أما العائلة والجيران والأصدقاء ، فعلى الرغم من اندهاشهم ، إلا أنهم شجَّعوني كثيراً ، حتى أن بعضهم قال لي: « لقد أصبحتِ أكثر جمالاً بالحجاب»!

وزاد ذلك بالطبع من سعادتي، ولكن سعادتي الحقيقية كانت بداخلي... فقد شعرتُ بالنور يغمرني، و شعرتُ كأنني لم أعد أعيش على الأرض كسابق عهدي..بل أحسستُ كأنني أعيش بجزء كبير منِّي في السماء، وجزء يسيرٌ على الأرض...والأهم من ذلك أنني شعرت براحة الضمير، وعدم الخِزي من ربي حين أقابله !!!!

ولم أعد أخشى الموت...فلقد صحَّحتُ مساري ، واخترتُ طريق العِزَّة ، والفُوز والنَّجاة،ألا وهو طريق ربِّي!

وشعرت أن حجابي هو تاج عِفَّتي وحيائي

لقد أصبحتُ مَلكة!

نعم أنا الآن مَلكة بطاعتي لربي!

وغداً –بفضل الله ورحمته- سأصير مَلكة في الجنة ، في قصر سقفه عرش الرحمن!

وانتهت المشكلات المتكررة بيني وبين أبي وأخي الأكبر بسبب تعليقاتهما على ملابسي وتسريحاتي كلما خرجت من المنزل، وأصبح أبي راضياً عني، فخوراً بي، وأصبحَتْ وأخي الأكبر أصدقاء ، أما أخي الأصغر فكان ما يزال مندهشاً!.وكانت «رحاب»-جزاها الله عني خيرا كثيراً- هي أسعد الناس بحجابي، وأصبَحَت بعد ذلك هي أقرب الناس إليَّ، فلما حدَّثتُها عن شعوري بالجهل الديني-فمعلوماتي في الدين لا تتجاوز ما درسناه بمادة التربية الدينية بالمدرسة- إقترحَتْ عليَّ أن أذهب معها إلى الدروس الدينية عصر كل يوم خميس، فاستأذنتُ من أبي وأصبحتُ أرافقها إلى رياض الجنة!

نعم، لا تتعجبي ، فقد كنت أشعر بذلك وأنا أتلقى هذه الدروس...فرأيت أن أعرض على أمي أن تصحبنا، وكذلك طلبت من والدة رحاب (مع أنها ملتزمة بالحجاب)، ولكني أردتُ أن تحظى أمي بصُحبة متدينة، فوافقَت أمها، وأصبحنا نذهب نحن الأربعة عصر كل خميس إلى رياض الجنة.... فتأثَّرت أمي كثيراً بهذه الدروس، وحرصَت في موسم الحج التالي على تأدية هذه الفريضة ، فعادت من الأراضي المقدَّسة ترتدي الحجاب وهي في غاية السعادة والرِّضا!

ثانياً: مشكلتنا أيضاً في الجانب النظري.. إن الذي يعرف حقيقة الإمامة، ويعرف موقع الإمام من الأمة؛ هذا الإنسان لا يملك نفسهُ إلا أن يكون متفاعلاً.. إن كل حديث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام لابد أن يترجم في ساحة الحياة.. إنهم ليسوا لوحات نعلقها على الجدران.. علي على رأس هرم بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والذين يتبعونهُ يسمون بشيعتهِ، وبأتباعه ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾.. إبراهيم كان مشايعاً لخط الأنبياء من قبله، أي كان يمشي على دربهم.. حديث الفضيلة، وحديث المنزلة؛ لابد وأن يترجم إلى سلوك في الحياة.. ليس الغرض من هذه السلسلة أن نلهج بذكر أئمتنا -عليهم السلام- وكأنهم في أبراجٍ عاجية لا يمكن الوصول إليها.

إن على المؤمن أن يجتاز دورة أربعين صباحاً، يذكر فيها إمامهُ -صلوات الله وسلامهُ عليه- من خلال دعاء العهد، الذي يعد من أروع أدعية زمان الغيبة.. فكلمة «العهد»؛ تعني الميثاق والمعاهدة.. منذ أن غاب -صلوات الله وسلامهُ عليه- أصبحت الحجة أكمل علينا؛ قياساً إلى من كان في زمان إمامنا الصادق عليه السلام.. لأن من كان في زمان الإمام الصادق -عليه السلام- بلغتهُ حجج ستة من أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ أما نحنُ في زمان الغيبة، فقد بلغتنا الأقوال من اثني عشر إماما.. وفي زمان هذه الثورة المعلوماتية الذي يدعي أنهُ قاصر، ولا يمكنهُ الوصول لأبواب المعرفة؛ فهذا حجتهُ داحضة.. الحمد لله هذه الأيام الفضائيات، والمواقع، والكتب، وأدوات المعرفة الحديثة؛ كلها حجة علينا.

إن الإمام الصادق -صلوات الله عليه- يقول: (من دعا إلى الله أربعين صباحا بهذا العهد)؛ لماذا اختيار الصباح لهذا الدعاء؟.. إن الكثيرين يشتكون من جفاف الدمع، والكثيرين يشتكون من عدم الخشوع في الصلاة؛ يأتي موسم محرم لا تذرف لهُ دمعة على سيد الشهداء، ويذهب للحج عشرين شهرا لا يخشع في موقف من مواقف الحج.. هذا مرض وفقر ما دونهُ فقر!.. وكما روي عن الإمام الباقر عليه السلام: (إنّ لله عقوبات في القلوب والأبدان: ضنك في المعيشة، ووهن في العبادة، وما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب)!.. هذا مرض، وهذه بلية من البلايا، أو تعلم أن من أسباب رفع هذه البلية العمل في الصباح؟!.. الكثير منا يغط في نوم عميق بين الطلوعين، بينما الأرزاق تقسم في هذا الوقت، وقد قال الرضا عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فالمقسّمات أمراً﴾: (الملائكة تقسّم أرزاق بني آدم ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس، فمن ينام فيما بينهما ينام عن رزقه).. أين نحنُ من هذه العطايا؟..

أو تعلم أن مثل الصلوات مثل المضاد الحيوي، الذي لا يأخذ المضاد في ساعاته من الممكن أن لا يؤثر أثرهُ.. البعضُ منا يصلي صلاة الظهرين والعشاءين في وقت متقارب.. هذا الإنسان صحيح هو ليس بتارك للصلاة، ولكن هذا الإنسان لا ينطبق عليه قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَاب أَحَدكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلّ يَوْم خَمْسَ مَرَّات، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنه شَيْءٌ؟.. قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنه شَيْءٌ.. قَالَ: فَذَلكَ مَثَلُ الصَّلَوَات الْخَمْس، يَمْحُو اللَّه بهنَّ الْخَطَايَا).

إن الذين يشعرون بهذا الفقر العلمي والعملي والشعوري، أول خطوة لهم أن يحيوا هذا الوقت الميت.. الوقت الذي يمر على الإنسان بين الطلوعين لا يُقاس به وقت من الأوقات، إنهُ وقت عجيب!.. لا هو ليل ولا هو نهار، هدوءٌ عجيب!.. لو عملت إحصائية لوجدت أن أدنى درجات المعصية على وجه الأرض، هو بين الطلوعين.. حتى أصحاب الفسق والمعاصي إذا دخل الفجر تقريباً الكل يرقد وينام.. فالناس في هذا الوقت يكونون في أفضل درجات ممكنة: إما إنسان يصلي، وإما إنسان نائم، والمعاصي في أدنى درجاتها؛ وهذا لهُ تأثير في عالم الطبيعة، وفي عالم الوجود.. إذن، دعاء العهد لمدة أربعين يوما يكون صباحاً، ومن علامات الارتضاء الإلهي للعبد أن يوفق لهذه الأربعينية؛ فالبعض يلتزم وقبل انتهاء الأربعينية بأيام، يغلب عليه النوم والنعاس.

إنه لمن الغريب أن هذا الحديث روي عن الإمام الصادق -عليه السلام-، وهو تقريباً في وسط سلسلة أئمة أهل البيت، ولكن يذكر ولده المهدي صلوات الله وسلامهُ عليه.. الإمام الصادق عليه السلام قال: (من دعا إلى الله أربعين صباحا بهذا العهد)، من دعا لا من قرأ!.. ومشكلتنا أننا لا ندعو بهذا الدعاء، وإنما نقرأ الدعاء.. وفرقٌ بين الدعاء وبين قراءة الدعاء، كالفرق بين الماء الذي يروي الغليل، وبين كلمة الماء التي لو تلفظت بها ملايين المرات لا تروي لك ظمأ، إنما قطرات من الماء هي التي تروي الغليل.. فإذن، من دعا بهذا العهد لا من قرأ هذا العهد، يرجى أن يكون من أنصاره.

الجمكران
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٢١٩ لسنة ٢٠٠٩
زوروا على الموقع www.alkafeel.net . راسلونا على nashr@alkafeel.net
اتصلوا بنا.. الهاتف / بدالة ٣٣٣٦٠٠ داخلي ١٦٢
تحرير: السيد محمد العطار
تصميم وإخراج: احمد السيلاوي